كوبي بيليد*

الشهادات الشفوية والمصادر الأرشيفية والحرب العربية ـ الإسرائيلية في سنة ١٩٤٨: نظرة عن كثب إلى احتلال قرية فسّوطة الجليلية**

تستكشف هذه الدراسة المساهمة المهمة (التي لا تزال ممكنة) والتي يمكن أن يقوم بها التاريخ الشفوي فيما يتعلق بدراسة الحرب العربية ـ الإسرائيلية في سنة ١٩٤٨، والهدف منها هو خلق "حوار" بنّاء ما بين المصادر الأرشيفية والشهادات الشفوية. فمن خلال مزاوجة المعلومات الموجودة في الوثائق المكتوبة مع تلك التي ينقلها المنطوق من الكلام ـ المصدران يدعمان بعضهما البعض، وفي الوقت عينه يشكّك أحدهما في الآخر ـ يمكن سدّ الهوة ما بين الطريق الذي يتّبعه المؤرخون الإسرائيليون عادة، وذاك الذي يسلكه الباحثون الفلسطينيون. ولتوضيح الإمكانات الكامنة في الحوار المقترَح لتحسين فهمنا للحرب، تعرض هذه الدراسة نظرة تاريخية عن كثب إلى فسّوطة، إحدى القرى العربية التي احتلتها القوات اليهودية خلال الحرب، كما تسعى، بإجراء تقاطع المعلومات ما بين الوثائق الإسرائيلية المكتوبة باللغة العبرية والذكريات الفلسطينية المنقولة باللغة العربية، لشرح كيف ولماذا بقيت هذه القرية على حالها، في حين أن العديد من القرى المجاورة لها هُجّر سكانها ودُمّرت.

* أستاذ محاضر في جامعة بن ـ غوريون في النقب.

** **المصدر**:

Kobi Peled, "Oral Testimonies, Archival Sources, and the 1948 Arab-Israeli War: A Close Look at the Occupation of a Galilean Village", *Journal of Israeli History: Politics, Society, Culture*, vol. 33, no. 1 (2014), pp. 41-61, http://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/13531042.2014.886833#tabModule

ترجمة: ريم دبيات، ومراجعة أنطون شمّاس.

مقدمة

تسعى هذه الدراسة لإثبات المساهمة العميقة التي يمكن للتاريخ الشفوي القيام بها عند دراسة الحرب العربية ـ الإسرائيلية في سنة ١٩٤٨، وأحد أهدافها تعزيز الحوار ما بين: المصادر الأرشيفية والشهادات الشفوية؛ الكلمات المكتوبة والكلمات المنطوقة (والمسجَّلة)؛ المسار الذي يتّبعه الباحثون الإسرائيليون، وذلك الذي يسلكه العديد من المؤرخين الفلسطينيين؛ منظور المنتصر والمهزوم؛ العبرية والعربية؛ حرب الاستقلال والنكبة. وليس الهدف من وضع الاقتباسات المأخوذة من المقابلات، في جوار تلك المأخوذة من وثائق من أرشيف الجيش الإسرائيلي، طمس الخطوط بين هذين النوعين المختلفين من المصادر، ولا للدلالة على أنه يجب اعتبارهما موثوقاً بهما بالقدر نفسه. فالشهادات الشفوية ربما تكون غنية، وليس لها مثيل، وتتّسم بالمرونة وفقاً للموضوع، ويحتمل أن تكون هدّامة،[١] لكن لفهم أحداث الماضي بشكل صحيح ـ أي الذهاب أبعد من معنى الحدث كما يعرّفه أولئك الذين يتذكرونه ـ فإن علينا الاعتراف بأن الذكريات تتشكّل وفق حاجات الزمن الحاضر ومشكلاته وأحلامه.[٢] ولهذا، فإن هذه الدراسة، وبدلاً من أن تتستر على عيوب المصادر التاريخية، فإنها ستركز على مكامن قوة رواية التاريخ التي تنسج الشهادات المكتوبة والمحكية معاً.[٣]

تعرض الدراسة صورة تاريخية عن كثب للبلدات العربية التي احتلتها القوات اليهودية خلال حرب ١٩٤٨، وذلك بهدف توضيح ما إذا كانت الشهادات الشفوية تدعم أو تدحض رواية الأحداث كما جاءت في الشهادات المكتوبة. وبما أن المجتمعات الفلسطينية التي كانت عرضة لعمليات الإعدام والتهجير حظيت، وإن بشكل غير كاف، باهتمام الباحثين،[٤] وبما أن أحداث الحرب في القرى والبلدات التي أُفرغت من قاطنيها وُثّقت (لكن بدرجة) محدودة،[٥] فإن هذه الدراسة ستستكشف نوعاً آخر من الأماكن ـ مجتمعاً بقي في موقعه نفسه ما قبل الحرب داخل حدود دولة إسرائيل، حيث يبدو أن لا شيء حدث، وذلك المجتمع هو القرية المسيحية فسّوطة، الواقعة في منطقة الجليل الأعلى.[٦] إن إجراء تحقيق كامل بشأن المجتمعات مثل فسّوطة ـ التي استسلمت لليهود، ولم يُطرد سكانها منها، ولم يُقتل أحد منهم ـ أمر ضروري لفهم أحداث حرب ١٩٤٨. والسؤال الأول الذي يتبادر إلى الذهن عن مثل تلك المناطق هو لماذا وكيف بقيت على حالها؟ وفي الواقع، فإن خريطة للجليل الأعلى تعود إلى ما قبل سنة ١٩٤٨، تبيّن أن المنطقة المحيطة بفسّوطة كانت تضم العديد من القرى التي لم يعد لها وجود اليوم: سُحماتا؛ سَبَلان؛ عرب السَّمْنية؛ إقرت؛ طربيخا؛ النبي روبين؛ سُروح؛ المنصورة؛ دير القاسي. ولهذا، كان الحافز إلى كتابة هذا النص هو الرغبة في شرح لماذا وكيف نجت فسّوطة، بينما دُمّرت المجتمعات المحيطة بها وهُجّر سكانها.

لا يمكن للمواد الأرشيفية وحدها أن تجيب عن التساؤل بشأن بقاء فسّوطة سالمة على الرغم من زوال العديد من القرى المجاورة لها، غير أن دمج ملفات الجيش الإسرائيلي مع الذكريات المسجلة لمُسنّي فسّوطة ربما يقدّم جواباً. ويُعتبر التاريخ الشفوي في هذا النص طريقة لدراسة وتعديل الصورة التاريخية التي رسمتها المصادر اليهودية بمفردها،[٧] فاليهود لم يدونوا فقط، وبصورة مستمرة، أحداث الحرب، بل احتفظوا أيضاً بالعديد من تلك الوثائق. ولهذا فإن التاريخ الشفوي

قادر على ملء الفراغ لأنه يتضمن وجهة نظر "الطرف الآخر"؛ أصوات أولئك الذين بالكاد كتبوا شيئاً، لكنهم احتفظوا إلى الآن في أذهانهم بذكريات الأحداث، وناقشوا ذكرياتهم (وربما تداولوها) ضمن الأوساط الاجتماعية المحدودة في قراهم ومناطقهم. وهكذا، فإن النص سيقدم وجهة النظر الفلسطينية من خلال مقتطفات من لقاءات أجريتُها بالعربية مع بعض قاطني فسّوطة المسنّين، الذين كبروا في عالم لم تكن الكلمة المكتوبة قد غزته بعد، وإنما ما زالت الكلمة المحكية فيه تحتفظ بقدرتها الهائلة.[٨] فقد كان عالماً فلاّحياً لا يقوم من دون الطاقة الحيوية للذكريات،[٩] وبعض الاقتباسات المستخدَمة هنا يجسد هذه الحيوية.

تعتبر هذه الدراسة شهادات المسنّين فيما يتعلق باحتلال قريتهم وما تلاه من أحداث، مصدراً مهماً لفهم الماضي، وتناقش باختصار معنى هذا الماضي بالنسبة إليهم اليوم، والصورة الاجتماعية التي تفترضها طريقة سردهم لقصص هذا الماضي.[١٠] وكمصادر تاريخية، فإن ذكرياتهم تُعدّ إشكالية، ليس لأنها تشكلت وفق اعتبارات الوقت الراهن فحسب، بل لأنها أيضاً مرتبطة بشكل وثيق بالبيئة نفسها التي تشكلت وتطورت فيها، ولهذا من المحتمل أنها أثّرت في بعضها البعض، والمؤرخون يخطئون إذا ما استبعدوها، إذ يمكن تعويض نقاط الضعف في الشهادات الشفوية بمقاطعتها مع المصادر المكتوبة والشفوية الأُخرى.[١١] وهذه الدراسة تثبت المساهمة الجوهرية للتاريخ الشفوي في فهم أحداث الحرب في فسّوطة، ففي الوقت الذي تبقى الوثائق الأرشيفية موجودة ومستمرة لعدة أعوام مقبلة، فإن تلك الذكريات المستقاة من أصحابها ستضيع خلال جيل.

تلجأ الدراسة في جزئها الأول إلى المصادر المكتوبة المأخوذة من أرشيف الجيش الإسرائيلي من أجل وصف احتلال فسّوطة خلال عملية حيرام التي جرت في أواخر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨، بينما يتناول الجزء الثاني منها الأحداث نفسها، والفترة التي تلتها مباشرة، استناداً إلى ذكريات سكان القرية المسنّين الذين ما زالوا يعيشون في فسّوطة. أمّا الجزء الثالث فيتطرق إلى فترة قصيرة من الزمن (أسبوعين تقريباً) تلت انتهاء عملية حيرام، مع التركيز على أمر التهجير من المناطق ـ والذي لم يجرِ بشكل منهجي ـ كما هو مذكور في المؤلفات الأكاديمية المستنِدة بدورها إلى المواد الأرشيفية، فيما يصف الجزء الرابع ما حدث في فسّوطة في الأيام الأولى التي أعقبت احتلالها، من منظور أولئك الذين عايشوا تلك الأحداث، في حين يركز الجزء الخامس على أمر التهجير الذي سبق ذكره، وعواقبه بالنسبة إلى فسّوطة استناداً إلى الشهادات الشفوية.

"أبواب قريتنا وأبواب قلوبنا": الاستيلاء على فسّوطة وفقاً لأرشيف الجيش الإسرائيلي

بالتزامن مع عملية حيرام التي كانت آخر العمليات العسكرية الإسرائيلية على الجبهة الشمالية، سيطر جيش الإنقاذ العربي، تسانده قوات غير نظامية محلية، على معظم وسط الجليل الأعلى، وهي المنطقة المسماة "الجيب" العربي.[١٢] فعندما بدأت الهدنة التي أُعلنت في ١٨ تموز / يوليو ١٩٤٨، بالانهيار، هاجمت قوات جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي موقعاً في قمة تلة تطل على مستوطنة المنارة، وأطلقت النار على قافلة يهودية.[١٣] هذا الهجوم الذي وقع في ٢٢ تشرين الأول / أكتوبر ـ بعد

أسبوع من بداية عملية "الضربات العشر" (عملية يوآف) في النقب التي كانت لا تزال تحت السيطرة المصرية ـ كان ذريعة فورية لتتحرك أربعة ألوية مع الوحدات المساعدة لها وتبدأ بعملية حيرام، في محاولة لانتزاع المنطقة من سيطرة جيش الإنقاذ.

خلال المعارك، تمكّن الجيش الإسرائيلي من الاستيلاء على "الجيب" العربي في الجليل الأعلى، الأمر الذي تسبّب بفرار عشرات الآلاف من الفلسطينيين، وبانسحاب جيش الإنقاذ المهزوم إلى لبنان.[١٤] وبدأت عملية حيرام هذه، التي كان قد تم التخطيط لها مسبقاً، بالقصف المدفعي والجوي على القرى والبلدات العربية المعروفة بكونها مواقع استراتيجية مهمة و / أو معاقل لجيش الإنقاذ،[١٥] فأُلقي من الجو نحو ٣٥٠ قنبلة تزن ٢٧,٥ طناً. وكانت القرى المجاورة لفسّوطة ـ ترشيحا، وسحماتا، وسعسع، ودير القاسي ـ بين القرى التي تعرّضت للقصف،[١٦] وقد قُتل ٢٤ فلسطينياً في ترشيحا، و٦٠ آخرون دُفنوا تحت الأنقاض،[١٧] كما قُتل سبعة فلسطينيين في دير القاسي التي قُصفت عن طريق الخطأ (وفقاً لتقارير القوات الجوية الإسرائيلية).[١٨]

علاوة على القنابل، ألقت القوات الجوية آلاف المناشير في الليلة الأولى من العملية تعلن فيها هزيمة جيش القاوقجي وانسحابه، وتدعو السكان المحليين إلى إلقاء السلاح والاستسلام.[١٩] الخوف من تجدد القصف، والحركة السريعة للجيش الإسرائيلي، وموجة النزوح الجديدة، وتراجع جيش الإنقاذ والقوات الشعبية المساندة له نحو الشمال، أمور هي وغيرها أخافت عرب الجليل وشكلت تهديداً لهم. استسلمت فسّوطة، فسلِمت هي وجميع سكانها، وذلك على النقيض تماماً من سكان قرية دير القاسي الذين فروا جميعاً إلى لبنان ولم يبقَ أحد منهم في القرية.[٢٠]

على الرغم من الدور المهم الذي أدته الضربات الجوية في تمكين الجيش الإسرائيلي من السيطرة على الجليل الأعلى، فإنها لم تقلب وحدها الموازين لمصلحة إسرائيل، إذ كان الجيش الإسرائيلي قد حشد قواته سراً على تخوم "الجيب" العربي في الجليل وباغت جيش الإنقاذ.[٢١] جرى احتلال قرية ترشيحا التي كانت المقر الإقليمي لقوات جيش الإنقاذ، في ٣٠ تشرين الأول/ أكتوبر، بينما استمرت القوات الغازية، لواء عوديد (اللواء التاسع)، بالتقدم شرقاً لاحتلال سحماتا وحرفيش، وملاقاة اللواء السابع (الذي سبق أن احتل سعسع)، والسيطرة على دير القاسي وفسّوطة.[٢٢] في ذلك المساء، كتب قائد الجبهة الشمالية، موشيه كرمل، إلى قائد لواء عوديد، يتسحاق بونداك: "اطلب من رجالك الذين ما زالوا منهكين من القتال في النقب، بذل مزيد من الجهد للاستيلاء على طريق سعسع ـ إيلون. الليلة سيكون الجليل بأكمله قد تحرر."[٢٣] وفعلاً، سيطر الجيش الإسرائيلي في اليوم التالي على كامل الطريق الشمالي [أو "الخط الشمالي"، كما يسمّونه في فسوطة].[٢٤]

وجاء في أحد تقارير لواء عوديد أن "معنويات جيش العدو تحطمت، وتضاءلت قوته أمام هجوم جيشنا الشامل والمخطط له"،[٢٥] ومع ذلك، فإن جنود جيش الإنقاذ حاربوا بضراوة ضد اللواء السابع في الصفصاف والجِش، على الرغم من نقاط الضعف التي كانت تعتري هذا الجيش،[٢٦] كالقيادة غير المؤهّلة، وعدم كفاية المقاتلين والسلاح ووسائل التنقل.[٢٧] أمّا بالنسبة إلى الروح القتالية لوحدات المشاة في لواء عوديد، فقد استخلص يتسحاق موداعي الذي قام بدراسة عملية حيرام في الخمسينيات، أنها كانت ضعيفة،[٢٨] ومع ذلك، فنتائج هذه

العملية تتحدث عن ذاتها ـ فخلال ستين ساعة احتل الجيش الإسرائيلي "الجيب" العربي في منطقة الجليل، وطرد جيش الإنقاذ وحلفاءه المحليين، واجتاح الجنوب اللبناني. وعلى الرغم من فرار معظم جنود القاوقجي إلى لبنان، فإن الجيش الإسرائيلي استمر، بفاعلية، في قتال جيش الإنقاذ ودحره وتحييده.[٢٩]

واصلت وحدات الجيش الإسرائيلي تقدمها عبر الجليل من قرية إلى قرية لضمان عدم بقاء أي قوات قادرة على المقاومة، وهكذا نزلت الكتيبة ١١ من لواء عوديد في اتجاه قرية ترشيحا، متوقفة في طريقها لتفقُّد معليا، ومعتقلة العديد من الأشخاص. وعند الوصول إلى ترشيحا، واجه الجنود مَن تبقّى من أهل القرية الذين استسلموا صباح السبت ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨، أي بعد يوم من فرار كثير من سكانها خوفاً من وصول القوات الإسرائيلية الوشيك.[٣٠]

وعند الظهيرة واصلت وحدات الكتيبة ١١، ترافقها قافلة مدرعة، السير نحو سحماتا، حيث تعرّض الجنود لعملية إطلاق نار ردّوا عليها بالمثل، وكان يمكن رؤية الناس يتراجعون. وبعد الظهر، عقب الاستيلاء على مركبات وأسلحة متروكة على طول الطريق المؤدي إلى الرامة، توجهت القوات إلى دير القاسي وفسّوطة "للتأكد من عدم سيطرة العدو عليهما وتطهيرهما."[٣١]

كان جنود الكتيبة ١١ لا يزالون على مسافة كبيرة من دير القاسي عندما بدأوا يطلقون النار على القرية المسلمة الكبيرة من سيارات الجيب (jeep) التي يستقلّونها، لكن أحداً لم يبادلهم إطلاق النار. وعندما دخلوا إلى القرية، الواقعة جنوبي شرقي فسّوطة، وجدوها مهجورة، بل ربما استطاعوا رؤية الناس الفارين منها على طول الطريق المتجه من دير القاسي شمالاً. وبعد انتهاء الحرب، أطلق الجيش اسم "طريق بورما" ـ الذي كان اسم الطريق الذي تم بواسطته الالتفاف على القوات اليابانية في أثناء الحرب الصينية ـ اليابانية الثانية ـ على الطريق المؤدي إلى القدس، لكنه لا يزال يُعرف بين مُسنّي فسّوطة باسم "خط الهزيمة". وعلى هذا الطريق الذي سلكه الفلسطينيون الفارون إلى لبنان في أثناء الحرب "سقط كثيرون من العرب" بحسب ما ورد في تقرير أعدته الوحدة المهاجمة.[٣٢] وفي أثناء الطريق إلى فسّوطة، استولى الجنود الإسرائيليون على دراجة نارية وشاحنة محملة بالذخيرة والوثائق، وكان انطباع كاتب التقرير ـ وهو قائد الكتيبة ١١ ـ أن العدو تخلى عن المكان قبل "بضع دقائق" فقط. وكتب أنه لدى وصولهم إلى فسّوطة "فتح الجنود النار على القرية، وبعد نحو خمس عشرة دقيقة استسلمت، وتوجه وفد منها لتسليم وثيقة الاستسلام إلى قائد الوحدة."[٣٣]

استولى جنود الكتيبة ١١ على فسّوطة، وبلّغوا قيادة لواء عوديد بما حققوه: "القرية استسلمت، والناس تخلّوا عن أسلحتهم."[٣٤] وبعد تجميع الأسلحة، أمر الجنود شباب القرية بالتجمّع وبدأوا يستجوبونهم للتحقق منهم، ثم أمرت قيادة اللواء الكتيبة ١١ بالاحتفاظ بالرجال، وإرسال "النساء إلى بيوتهن"،[٣٥] إلى حين وصول الكتيبة ٩١ لتحل محلها. فاجأ الاستسلام الكامل لفسّوطة الجنود المنهكين من المعركة، فقد كان أمامهم كومة من الأسلحة موضوعة على جنب، بينما كان على الجانب الآخر مجموعة من الرجال الذين لم يبدوا أي مقاومة لدور الجنود كأسياد جدد لفسّوطة. ولاحظ قائد الكتيبة، قبل نهاية التقرير، أن "كثيرين من الرجال المريبين جداً، والذين من المحتمل أنهم بدّلوا الزي العسكري بملابس مدنية، شوهدوا بين

الرجال المجتمعين في قرية فسّوطة."[٣٦]
وبعد ثلاثة أشهر تقريباً، طلب أحد وجهاء فسّوطة استعادة "بعض من الأسلحة" التي كان الجيش قد صادرها، من أجل التصدي للمتسللين من لبنان الذين يعبرون الحدود باستمرار ويسلبونهم مواشيهم، ووَصف يوم احتلال الجنود الإسرائيليين للقرية بلغة لا تعكس سوى الخضوع والاستسلام، قائلاً: "دخل الجيش الإسرائيلي قريتنا منتصراً في ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨، وكثيرون منا رحّبوا به. لقد باركنا وصوله، وفتحنا أبواب قريتنا وأبواب قلوبنا من أجل اكتساب رضاه التام."[٣٧]

"لم يرمِ أحد الحجارة، ولم يقل أحد كلمة": الاستيلاء على فسّوطة وفقاً للشهادات الشفوية

تذكّر كثر من أهالي فسّوطة جنود جيش الإنقاذ الذين تسللوا إلى فلسطين الانتدابية في مطلع كانون الثاني / يناير ١٩٤٨، وأشار بعضهم إلى المجموعات المسلحة التي نشطت من قبل في المنطقة. فماري سعد الخوري (مواليد ١٩١٧) تذكّرت الثوار الذين قدِموا إلى القرية طلباً للطعام في إبان الثورة العربية ١٩٣٦ – ١٩٣٩، والإنجليز الذين أتوا على ظهور الجياد يبحثون عنهم،[٣٨] كما تحدث إسحاق جريس شاهين (مواليد ١٩٢٥) ومهنّا حبيب فرنسيس (مواليد ١٩٣٦) عن المجموعات المسلحة التي كانت تظهر في فسّوطة مطالبة القرويين بتأمين الغذاء والمأوى لها،[٣٩] ويتذكر مهنّا كيف كانت والدته تقوم بتحضير الطعام لإحدى هذه المجموعات في بيت طفولته. ويروي سمعان فارس دَكْوَر (مواليد ١٩٣٠)، من قاطني فسّوطة، كيف تمكّنت المجموعات المسلحة من تجنيد رجال فسّوطة من أجل واجب الحراسة، وذلك بناء على أوامر زعيم محلي نافذ يدعى محمود الإبراهيم من دير القاسي، وهو من الشخصيات البارزة في منطقة الجليل الأعلى منذ الثورة العربية الكبرى،[٤٠] وقد جرى في وقت لاحق، ومع وصول جيش الإنقاذ إلى الجليل، تكليف سمعان نفسه بهذه المهمة تحت إشراف جنود هذا الجيش. أمّا إسحاق الذي لم تكن ذكرياته طيبة مع هذا الجيش، فقال بغضب إن الناس في فسّوطة (وهو من ضمنهم) كانوا يحرسون الجنود في أثناء نومهم. كما تحدث إلياس شوفاني، ابن شكري شوفاني من معليا ـ أحد قادة لجان الدفاع المحلية ـ كيف جرى تجنيد رجال معليا مع جيش الإنقاذ من أجل الحراسة.[٤١] وأكثر من هذا، وفي أثناء تحضير المنطقة لتوغل العرب المحتمَل من جهة الشمال، سخّر الجيش أناساً مثل إسحاق ورجل آخر من فسّوطة، يدعى سليمان رضا عاصي (مواليد ١٩٢٠)، للعمل على تمهيد الطريق من دير القاسي إلى الشمال، قائلين إن الهدف من هذا الطريق هو توفير ممر سهل للقوات العربية إلى داخل الشمال الفلسطيني، لكنه بات يعرف فيما بعد باسم "خط الهزيمة".[٤٢]

أشار سكان فسّوطة المسنّين إلى أن جنود جيش الإنقاذ طالبوا القرويين بالطعام والمأوى مجاناً، كما فعلت قبلهم الجماعات المسلحة، وقال إلياس نمر قسيس (مواليد ١٩٢٤) إن سعد الخوري استضاف الجنود في بيته مراراً.[٤٣] وتتذكر ماري ابنة سعد أن مجموعة كبيرة من جنود جيش الإنقاذ كانت تنام على شرفة منزل والدها، وربما كان هذا في بداية عملية حيرام، وأن قائدهم، ويدعى أبو العبد، نصحهم بالاستسلام لليهود لأن ذلك من مصلحة فسّوطة. أمّا أديب نعيم نخلة (مواليد ١٩٣٧) فزعم أن مقاتلي جيش الإنقاذ لم يتمركزوا

في القرية، وإنما استخدموها قاعدة يأتون إليها ويغادرونها متى يشاؤوا، وتذكّر الطريقة السيئة التي تعامل بها المقاتلون مع سكان فسّوطة، ففي الصيف أكلوا ما طاب لهم من منتوجات القرية، وفي الشتاء أخذوا الحطب من مخزون القرويين المخصص لتدفئة منازلهم. كما تحدث عن مجموعة الجنود الذين ناموا في منزل والده، وكيف أن أحدهم أعطى والدته قطعة ثياب تمزقت خياطتها لتصلحها، فقالت له وهي تتفحص تلك القطعة البالية إن خياطتها رديئة جداً، وإنه لا يمكنها فعل شيء حيال ذلك. وبرواية هذه الحادثة، فإن أديب (وربما والدته أيضاً) كانا يلمّحان إلى الحالة العامة لجنود القاوقجي، من خلال الكلام على الملابس والسلاح والتدريب وما إلى ذلك: فهم، على غرار تلك الملابس التي لم تكن ملائمة لمثل تلك المهمة، لم يكن لديهم فعلياً أي فرصة للنجاح منذ البداية.[٤٤]

ومنذ أربعين عاماً تقريباً، وصف إلياس شوفاني السلوك غير اللائق للجنود اليمنيين في جيش الإنقاذ، الذين أساؤوا إلى سمعتهم بهياجهم وهم سكارى في شوارع قريته، معليا، وشجارهم مع القرويين، وتحرّشهم بالنساء. وقال إنهم بينما كانوا يعتبرون أنفسهم قوة تحرير، فهم في الوقت نفسه لم يُبدوا أي احترام لأملاك وشقاء أولئك الناس الذين قدِموا لتحريرهم.[٤٥] ومع ذلك، وعلى الرغم من أن مصادر الجيش الإسرائيلي في بعض الأحيان تشير إلى جنود جيش الإنقاذ بالقول إنهم "عصابة من المتهورين الذين لا يصلحون لشيء"،[٤٦] فإن شوفاني لا يقبل هذا الوصف، إذ إنه رأى بنفسه قتالهم جنباً إلى جنب مع قوات والده، وشهد أخوه الأكبر على إخلاصهم وتعاطفهم، كما شاهدهم بنفسه يقدّمون يد العون إلى الفلاحين لإتمام أعمالهم الموسمية في الحقول، ورأى كيف أنهم، حتى في أثناء فرارهم، فاجأوا جنود الجيش الإسرائيلي بإطلاق النار عليهم، قبل أن يختفوا في منحنيات وادي القرن المتعرجة.[٤٧] علاوة على ذلك، يصف دروز جيش الإنقاذ الفارين من فوج اليرموك الثالث، رفاقهم اليمنيين الذين كانت قاعدتهم في معليا بكل احترام، ويقولون إنهم "شجعان ومقدامون"،[٤٨] لكن بعض المسنّين من فسّوطة الذين يتذكرون اليمنيين، ليس لديه أي آراء حسنة أو ذكريات طيبة عن جنود جيش الإنقاذ. وتروي ماري التي كان والدها سعد يستضيفهم في بيته في كثير من الأحيان، كيف كان والدها "لا يسمح لنا بالبقاء بين الجنود"، وأنه أرسلها هي وشقيقتها الكبرى موقتاً إلى قرية رميش على الحدود اللبنانية ليحول دون تحرّش الجنود بهما.[٤٩] ووصف خليل عزيز النجّار (مواليد ١٩٣٥) كيف شعر أهالي فسّوطة بعدم التقدير من طرف جنود جيش الإنقاذ الذين لجأوا إلى القرية، وذكر أن الأهالي، على الرغم من مشاعرهم المختلطة تجاه الجنود، استضافوهم ـ مستخدمين موارد القرية لتقديم الغذاء والمأوى لهم ـ لكنهم في النهاية فروا في اتجاه لبنان من دون أن يُعلموهم بذلك.[٥٠]

وقال خليل، جواباً عن سؤال بشأن ذكرياته عن الفترة التي سبقت الاستيلاء على القرية، إن "المنطقة كانت على شفا الانهيار."[٥١] ولعله كان من الأسهل على أهالي فسّوطة إلقاء اللوم فيما يتعلق بانهيار المنطقة على ضعف جيش الإنقاذ: ففسّوطة لم تحارب القوات اليهودية خلافاً لجيرانها الأقرب (معليا حاربتهم)، كما أن سكانها لم يهربوا (سكان دير القاسي هربوا)، ولم يتم تهجيرهم من القرية (سكان إقرت هُجّروا). فسّوطة استسلمت. وبدلاً من الحديث عن الاستسلام كخيار ملائم، وذكر

تداعياته على فسّوطة، فإن السكان يميلون إلى إلقاء اللوم في الهزيمة على جيش الإنقاذ "غير المؤهَّل". وقد علل بعضهم عدم أهليته، بشكل أساسي، بسبب التغلغل الكبير للاستخبارات اليهودية في صفوفه، وهناك حكاية شعبية توضح هذه النقطة، وتعود إلى ذلك الوقت، وفحواها أن جندياً من جيش الإنقاذ اختفى بضعة أيام قبل هجوم اليهود، ليعود ويظهر بعد ذلك في فسّوطة كجندي في الجيش الإسرائيلي، وأنه أفصح عن هويته (اليهودية) إلى إحدى النساء.[٥٢] وفي السياق نفسه تم تداول رواية على نطاق واسع تتعلق برشوة قدّمها عملاء (متنكرون) للاستخبارات اليهودية إلى محمد المهدي، قائد فوج اليرموك الثالث الذي كان مقر قيادته في ترشيحا. ويقال إن ضابطاً في الاستخبارات اليهودية يدعى حاييم أويربخ، الذي ظلت علاقاته في فسّوطة تخدمه جيداً خلال الخمسينيات، كان متورطاً في الأمر، وربما يكون أدى دوراً في اتخاذ القرار بعدم طرد الناس من فسّوطة، لكني لم أستطع تأكيد هذا السيناريو الممكن أو نفيه.

وقبل وصول جنود الجيش الإسرائيلي إلى فسّوطة، كان اللاجئون من القرى المحيطة بها قد تدفقوا إليها، فالأقرباء والأصدقاء والغرباء من سحماتا وترشيحا ومعليا وغيرها، وجدوا فيها ملجأ لهم عندما كانوا في طريقهم إلى رميش عبر الحدود.[٥٣] وبعد انتهاء الحرب، استقر بعض العائلات من إقرت والمنصورة وسحماتا والبصّة، بصورة نهائية في فسّوطة،[٥٤] واضطر سكان القرية إلى مساعدة الفارين إلى لبنان خوفاً على حياتهم، وكذلك أولئك الذين حاولوا العودة إلى قراهم في فلسطين.[٥٥] ومن دون شك فإن كثيرين من أهالي فسّوطة الذين شهدوا المأساة التي حلّت باللاجئين، مدّوا يد العون لهم، ومع أن هذه المساعدة مذكورة في الحكايات المحلية لأحداث حرب ١٩٤٨ على أنها عمل نبيل، إلاّ إنه لا يمكن بالضبط معرفة عمقها ونطاقها الحقيقي. فسمعان يروي أنه يوم احتلال فسّوطة كان يرافق لاجئاً إلى رميش في مقابل مبلغ من المال، وأنه قبل وصولهم إلى حدود قرية المنصورة المجاورة كان الجيش الإسرائيلي قد احتل فسّوطة. وقال سمعان إنه في ذلك الوقت "كانت فلسطين كلها في رميش."[٥٦]

وتذكّر إسحاق أنه في صبيحة يوم احتلال فسّوطة ـ ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨ ـ غادر أهالي قرية دير القاسي منازلهم، وربما كان بينهم محمود الإبراهيم، وهو زعيم محلي نشط في الثورة العربية في الفترة ١٩٣٦ – ١٩٣٩، وكان جميع الناس في المنطقة يهابونه خلال الأربعينيات أيضاً. "كانت المنطقة بأسرها تطيع كلامه"، هذا ما قاله سمعان الذي ذهب لرؤية منزل الإبراهيم الواسع في دير القاسي بعد فرار الأخير، وزعم إسحاق أن محمود الإبراهيم كان "أول الفارّين"، وبعد إشارته إليه على أنه "زعيم عصابة" رفض مواصلة النقاش في هذا الأمر. وكان خليل أيضاً يكنّ الازدراء لمحمود الإبراهيم، ويؤكد أنه كان أول مَن هرب: "جمع أغراضه ورحل"،[٥٧] لكن أحداً لا يعلم تماماً إن كان الإبراهيم هو أول مَن هرب فعلاً، بل من المحتمل أن تكون هذه الاتهامات تعبيراً عن خيبة الأمل الكبيرة بعد إدراك عدم أهلية القيادة العربية.[٥٨] ومن الغريب أن أنطون شمّاس، في روايته "أرابيسك" المبنية جزئياً على ذكريات القرويين، تحدث عن محمود الإبراهيم ووفاته بطريقة مختلفة كلياً.[٥٩]

عندما شرع الجيش الإسرائيلي يقترب ويستولي على القرى واحدة تلو الأُخرى، هرب إلياس شوفاني من معليا، والتجأ إلى فسّوطة حيث وجد الناس يترقّبون بقلق

وصول جنود الجيش الإسرائيلي، وروى كيف أنهم افترضوا أن لا ضرر سيصيبهم لأن أحداً منهم لم يحمل السلاح في وجه اليهود.[٦٠] ويقول رفيق نجّار، وهو مؤرخ هاوٍ كتب عن تلك الأيام العصيبة، إن قلّة من الأهالي فضّلت الرحيل عن القرية في ظل تلك الأوضاع، وإن بعضهم عبر فعلاً الحدود في اتجاه لبنان.[٦١] يستحيل الآن إعادة بناء الحالة المزاجية لسكان القرية في ذلك الوقت، أو معرفة ما قيل سراً أو علانية. ويتذكر إسحاق أن وجهاء القرية تجمّعوا في منزل الخوري مكسيموس سلوم، قرب الكنيسة، وقرروا إرسال فرقة صغيرة (تلوّح براية بيضاء) لمقابلة الجنود، وأن الوفد ضم الخوري، ووكيل وقف الكنيسة، ووالده الذي كان يلوّح بالراية. وبوعي شديد لمحنتهم ولأحوال فسّوطة الخطرة، فهمَ أعضاء الوفد أن عليهم التشديد، أمام القوات الغازية، على هوية القرية المسيحية (الروم الكاثوليك). وفي الوقت الذي كان وجهاء قرية فسّوطة مجتمعين مع جنود الجيش الإسرائيلي في الجانب الشرقي من القرية في منطقة تُعرف باسم المحافر، هرب العديد من أهالي القرية إلى الوديان والتلال المشجرة والمحيطة بفسّوطة. وتذكّر مهنّا أنه هرب إلى الغابة خارج القرية، بينما وجد سمعان ملجأ في وادي سوادة ولم يعد إلاّ بعد ثلاثة أيام. واختبأ خليل مع والده الذي كان راعياً، في مغارة عكبرة قرب فسّوطة، في حين بقيت والدته في القرية. وقال أديب الذي كان في الحادية عشرة من عمره في سنة ١٩٤٨، أنه كان يتجوّل ويلعب قرب البيدر عندما شاهد الناس يركضون في اتجاه الغابة، فلحق بهم على الفور، أمّا إسحاق وإلياس فقالا أنهما بقيا في البيت.[٦٢]

جولات إطلاق النار على القرية التي قام بها جنود الجيش الإسرائيلي لم تلقَ أي ردّ، وقال إلياس: "لم تُطلَق رصاصة واحدة من فسّوطة في اتجاه الجنود."[٦٣] وعلم سمعان الذي كان آنذاك في وادي سوادة، أن الجنود الإسرائيليين جمعوا رجال القرية في المحافر، بينما يصف شمّاس في روايته كيف قام الرجال الذين عادوا من الحقول برقص الدبكة للجنود، لكن أحداً من فسّوطة لم يتذكر هذه الحادثة.[٦٤] أمّا مهنّا فكان الوحيد الذي أكد أنه بعد وصول الجنود إلى فسّوطة ظهر بينهم نساء يهوديات كن يشبكن أياديهن ويردّدن: "نحن بنات الهاغاناه / أين سيجدنا العرب؟ / يسوع وموسى أُرسلا من الله / أمّا محمد فمن أين أتى؟"[٦٥] وكان واضحاً أن الهدف من هذه الأبيات، إن كانت الحادثة حقيقية، هو تقسيم الفلسطينيين إلى مسلمين عدائيين من جهة، ومسيحيين ودودين من الجهة الأُخرى. وقال إسحاق إن جنود وحدة الجيب (jeep unit) طافوا بالقرية، و"إن أحداً لم يرمِ الحجارة، ولم يقل كلمة"،[٦٦] كما تذكّر أديب أن الجنود استُقبلوا في ساحة القرية بالمناديل البيضاء. كان هناك إشارة صريحة إلى استسلام فسّوطة من خلال امتثال الأهالي لأوامر الجنود بجمع الأسلحة الموجودة في القرية وتسليمها إلى الجيش، وهكذا وُضعت بنادق القرويين عند عتبة بيت سعد الخوري، وهذه الحادثة رواها بالتفصيل كل من إسحاق وسمعان. وتتذكر ماري، ابنة سعد، أن كومة البنادق التي تكدّست أمام عتبتهم كانت بحجم كومة من الحطب، وأن الجنود فتشوا القرية بعدها مباشرة ولم يجدوا شيئاً.[٦٧] أمّا الشهادة الوحيدة التي تحدثت عن محاولة نهب في فسّوطة فقدّمها سليمان الذي زعم أن جندياً درزياً في الجيش الإسرائيلي حاول أخذ مذياع من منزل فرحان شمّاس، لكن هذا الأخير منعه من أخذه.[٦٨]

وانطبعت في الذاكرة المحلية شخصية غوئيل ليفيتزكي ـ ويُعرف أكثر في فسّوطة باسم الميجر نمر ـ كقائد للقوات التي احتلت القرية،[٦٩] لكن مزيداً من التحقيقات يكشف أن الميجر نمر، قائد الكتيبة ٩١ من لواء عوديد، وصل إلى فسّوطة بعد الاستيلاء عليها، إمّا في مساء اليوم نفسه، وإمّا في وقت لاحق من اليوم التالي.[٧٠] لقد باركت ماري ذكراه وتمنّت لأطفاله العمر المديد، كما أن إسحاق وصفه بأنه "إنسان بكل ما للكلمة من معنى"،[٧١] وسيتضح لاحقاً سبب المباركة والمديح الذي ناله الميجر نمر. وكتب شمّاس أن الميجر نمر كان مقيماً في المنطقة، كما أن إلياس علم أنه كان يتحدث العربية، وزعم أن سعد الخوري أخبره أن الميجر نمر يريد معرفة الذين تعاونوا مع جيش الإنقاذ. وقد أكدت ماري هذا الأمر، وقالت إن والدها استقبل فعلاً نمر ورجاله في بيته، وإنه عندما سأل نمر والدها عن استضافته جنود جيش الإنقاذ في بيته، أجابه بذكاء أنه مستعد لأن يستضيف الرائد نمر ورجاله ويطعمهم، تماماً مثلما فعل مع جيش الإنقاذ.[٧٢]

"مساعدة السكان على مغادرة الأراضي التي تم احتلالها": أمر الطرد وتجميده

ذكر موريس في كتابه "نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ١٩٤٧ – ١٩٤٩" (*The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949*) أن توجيهات محددة بالطرد كانت قد صدرت فعلاً، لكن لم يصدر أي أمر يشمل تلك التوجيهات ويضعها موضع التنفيذ. فبحسب موريس، فإن سلوك الجيش الإسرائيلي تجاه السكان المحليين تأثّر بظروف كل معركة، وبوجهات نظر قادتها، و"بتاريخ" القرية (مُحبّة أو معادية لليهود)، وبعوامل أُخرى، وأكد أن عمليات التهجير، بصورة عامة، بدأت محلياً،[٧٣] لكنه عاد لاحقاً وعدّل هذا التأكيد قائلاً إنه في اليوم الأخير من عملية حيرام، أمر قائد الجبهة الشمالية جميع الألوية والفرق التي بإمرته بالعمل على "مساعدة السكان على مغادرة الأراضي التي تم احتلالها."[٧٤] ما معنى هذه المساعدة؟ يمكن فهمها على أنها السماح لوحدات الاحتياط العسكرية بمنع السكان (العرب) من البقاء في المناطق التي تم احتلالها، وهكذا فعلاً فهمت تلك الوحدات الأمر، لكن هذا ليس هو المعنى الوحيد الممكن. فبعد عشرة أيام، كرر قائد الجبهة الشمالية أمر "المساعدة" بلهجة أقل صرامة، كما زعم موريس، لكن مع توضيح أن "المنطقة الممتدة بيننا وبين الحدود اللبنانية، وحتى مسافة خمسة كيلومترات، يجب أن تكون خالية من السكان."[٧٥] ومن الصعب ترجمة هذه التعليمات الأخيرة إلاّ على أنها أمر بالطرد.[٧٦] وفي الواقع، فإن الأوامر العملانية لعملية حيرام لم تذكر أي شيء بشأن السكان المحليين،[٧٧] لكن أمراً ضمنياً بالطرد صدر في نهاية الحملة، تلاه أمر صريح بعد عشرة أيام.

ويزعم موريس أن أغلب المسلمين من سكان "الجيب" الذي احتله الإسرائيليون في عملية حيرام، هربوا إلى لبنان، في حين أن أغلبية المسيحيين، وتقريباً جميع الدروز والشركس، لم يغادروا قراهم.[٧٨] وربما كان المنطق الذي اتبعه الجيش هو محاولة إفراغ القرى المسلمة من سكانها الذين حاربوا في صفوف جيش الإنقاذ ضد اليهود، والسماح للقرى المسيحية التي استسلمت من دون قتال بأن تظل على حالها. بيد أن نهج الجيش الإسرائيلي لم يكن متّسقاً،[٧٩] ففسّوطة

استسلمت من دون قتال، وفعلاً لم يتم (في نهاية الأمر) طرد سكانها، لكن معليا قاومت، ومع ذلك سُمح، بصورة استثنائية، لسكانها الذين هربوا منها بالعودة ثانية،[٨٠] في حين أن إقرت التي رحّب أهلها بالجنود واستقبلوهم بالخبز والماء،[٨١] دُمّرت وطُرد منها أهلها الذين باتوا لاجئين في الداخل. وعندما بدأت قوات الجيش الإسرائيلي بتنفيذ أمر الحفاظ على شريط الكيلومترات الخمسة "الخالية من السكان" (أي أمر الطرد)، فإنها لم تميّز كثيراً بين المسلمين والمسيحيين، لكن فيما بعد جرى اتخاذ المواقف الداعمة للمسيحيين والمعادية للمسلمين.[٨٢]

لهذا، فإن سياسة الطرد التي استهدفت السكان العرب في الجليل بعد انتهاء القتال، لم تكن متسقة،[٨٣] فالرغبة في وجود أقل عدد ممكن من العرب في الدولة اليهودية الجديدة، والتي تم الإعراب عنها من أعلى المناصب، والحاجة إلى توفير مساكن للمهاجرين، أُخذتا في الاعتبار بصورة كبيرة، إلى جانب الاعتبارات العسكرية.[٨٤] وكانت الحجة الرئيسية لرفض عملية الطرد التي بدأت بعد عملية حيرام، هي إمكان تأثيرها السيئ في سمعة إسرائيل دولياً.[٨٥] وفي الواقع، وعلى الرغم من إصرار الجيش الإسرائيلي على إبقاء الشريط الحدودي خالياً من العرب، فإن ست قرى تقريباً، معظمها مسيحية، بقيت على حالها.[٨٦] هذه النتيجة التي أوردها موريس كانت حصيلة تدخّل وزير شؤون الأقليات بيخور شالوم شِطريت، واحتجاجات حزب مبام، وربما أيضاً نتيجة المواقف الأكثر تساهلاً التي أظهرها بعض القادة العسكريين في المنطقة.[٨٧] وفعلاً، تدخّل بيخور لمصلحة الجش وبرعم وترشيحا، وربما يكون أدى أيضاً دوراً في السماح لسكان فسّوطة بالبقاء.[٨٨]

دُفع أهالي إقرت إلى مغادرة قريتهم قبل بضعة أيام من الأمر الذي أصدره قائد الجبهة الشمالية، والقاضي بإخلاء شريط الكيلومترات الخمسة من السكان العرب،[٨٩] ففي ٧ تشرين الثاني / نوفمبر، صدرت الأوامر إلى جميع أهالي القرية، باستثناء الخوري، بالرحيل ومغادرة بيوتهم،[٩٠] كما تلقّى سكان القرى المجاورة، طربيخا والنبي روبين وسروح، أوامر مشابهة، وفي ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر صدر الأمر إلى أهالي برعم والمنصورة بالنزوح، لكن في منتصف الشهر عُلّقت عملية الإجلاء بشكل مفاجئ قبل إتمامها بصورة كاملة.[٩١] وافترض موريس أن السبب في ذلك يعود إلى الفظائع التي ارتُكبت خلال تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني / نوفمبر، فضلاً عن الضغوط التي مارسها حزب مبام، وبن ـ تسفي وشِطريت المناصران للمسيحية، وكذلك رجال الدين اللبنانيون، والتي ربما تكون حثّت بن ـ غوريون على وقف عملية الإجلاء.[٩٢]

بعد تجميد أمر الطرد ـ الذي نجت منه قرى الشريط الحدودي وبقيت على حالها: فسّوطة ومعليا (روم كاثوليك)؛ الجش (أغلبيتها موارنة)؛ الريحانية (شركس)؛ عرب العرامشة (بدو) ـ واصلت وحدات الجيش الإسرائيلي منع اللاجئين من العودة إلى ديارهم، مستخدمة في بعض الأحيان القوة وإطلاق النار. وفي الواقع، وقبل بضعة أيام من تجميد الأمر، قامت دورية من الكتيبة ٩١ كانت تتفقّد "خط الهزيمة"، بقتل لاجئ رفض الإفصاح للجنود عن مكان إقامته أو عن أصله، بل حاول الهرب أيضاً.[٩٣] وفي واحد من تقارير الكتيبة ١١ (الوحدة التي غزت فسّوطة)، والذي يُذكر فيه أن ثمة "حركة كبيرة على الطرقات للاجئين عرب قادمين من لبنان"، أضاف أحد ضباط لواء عوديد تعليقاً في منتهى الوضوح:

"يجب طرد اللاجئين العائدين وقتلهم [ليفغواع]."[٩٤] وكان بين اللاجئين لصوص ماشية، ولهذا فإن فسّوطة التي كانت قطعانها تعرضت للنهب مرتين على الأقل في كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨، طلبت المساعدة من الجيش الإسرائيلي وحصلت عليها.[٩٥] ومع أن القرار بإجلاء السكان العرب من المناطق القريبة من الحدود جُمّد فعلاً، إلاّ إن قيادات الجبهة الشمالية كانت لا تزال في أواخر كانون الثاني / يناير ١٩٤٩، تفكر في خطة لنقل سكان فسّوطة والجش ومَن تبقّى في برعم إلى الجليل الأوسط، غير أن هذه الخطة ومثيلاتها من الخطط لإخلاء ترشيحا لم تجد طريقها إلى التنفيذ.[٩٦]

"هؤلاء الناس هم أهلي!" موظف شركة التبغ ومصير فسّوطة

لا تكشف المصادر الأرشيفية إلاّ القليل عمّا حدث في فسّوطة بعد احتلالها، فبعد فترة قصيرة من الاستيلاء على القرية ـ في اليوم التالي، وفقاً لشمّاس مؤلف "أرابيسك"، وبعد عدة أيام وفقاً لمسنّين من أهالي القرية ـ أمر الجيش الإسرائيلي رجال القرية كلهم، شيباً وشباباً على حد سواء، بالتجمّع في مكان يدعى البلاّط، "وهو نتوء صخري أبيض" على حد تعبير شمّاس، بالقرب من منزل أبو فاضل (أسعد سليم خوري) مختار القرية السابق.[٩٧] وكان إسحاق بين الرجال الذين تجمّعوا في ذلك اليوم، وروى أن الجنود "جعلونا نقف هناك مصطفّين الواحد بجوار الآخر، كأننا في رقصة عرس"،[٩٨] وأن الجيش كان يحاول تحديد أولئك الذين ساعدوا جيش الإنقاذ. فتّش الجنود الرجال على عجل، مستبعدين منهم أولئك الذين كانوا يرتدون الكاكي (وهو لباس طلاب المدارس الثانوية). لم يكن إسحاق يرتدي الكاكي، ولهذا لم يُستبعَد. وقال إلياس الذي كان حاضراً أيضاً، إن جميع الذين حضروا من الرجال أُصعدوا على متن الحافلة التي كانت تنتظر قرب منزل أبو فاضل. وزعمت ابتهاج، زوجة سمعان، أن أباها (أبو شهاب) كان بين أولئك الرجال. ووفقاً لشمّاس، فإنه عند انتهاء عملية التفتيش، أُصعد أكثر من عشرين رجلاً على متن حافلتين "وجهتهما مجهولة"،[٩٩] ولم يعرف أحد ما الذي كان يعتزم الجنود فعله مع أولئك الرجال: هل تلقّوا أوامر باستجوابهم؟ أو ترحيلهم؟ أو تصفيتهم؟ اختار شمّاس الإجابة على تلك الأسئلة الغامضة على النحو التالي: "الشائعات التي انتشرت في القرية عمّا قام به جيش اليهود، لم تترك مجالاً للشك في شأن مصيرهم."[١٠٠]

ويساعد بعض المعلومات الأساسية عن المنطقة في توضيح ما جرى فيما بعد. ففسّوطة والقرى المجاورة لها كانت تزرع التبغ، وكانت المحاصيل وفيرة، ولهذا أصبحت هذه الزراعة مصدراً مهماً للدخل في الجليل الأعلى خلال فترة الانتداب البريطاني، وقد اعتادت شركات التبغ شراء موادها الخام من القرى بمساعدة ممثليها المحليين. وكان اليهودي دافيد فرّاجي وابنه إيلي يعملان وكيلَي مشتريات في شركة دوبك للسجائر، وكانا مسؤولَين عن شراء التبغ من فسّوطة والمناطق المحيطة بها، لكن الحرب التي قطعت خطوط الاتصال ما بين البائعين والمشترين، أوقفت أعمال دوبك، فتضررت معيشة القرويين. وفي الواقع، لم يتمكن أهالي معليا من بيع محصول التبغ معظم فترة الحرب، كما كتب شوفاني، وبهذا خسروا مورد رزقهم.[١٠١] وقد أعطى جميل يوسف النحاس من ترشيحا، شكري عرّاف، وهو مؤرخ من معليا، مذكّرة كتبها إيلي فرّاجي لوالد جميل تثبت أن

الأخير هو موظف لدى شركة دوبك منذ الثلاثينيات، وأنه معروف بأنه "شخص مسالم، وليس لديه أي نشاطات سياسية."[١٠٢] وهرب والد جميل من ترشيحا إلى البُقيعة، وعمل إيلي فرّاجي برفقة والده على البحث عنه وعن ممثلين آخرين من قرى المنطقة، من أجل تجديد عملهم كمزوِّدين لشركة دوبك، مباشرة بعد غزو "الجيب" العربي في الجليل. وعلى ما يبدو، فإن فرّاجي كتب المذكرة إلى النحاس في ١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.[١٠٣] وإذا ما صحّ تقدير شمّاس بأن تجميع رجال القرية في البلاط كان في ٣١ تشرين الأول / أكتوبر، فإن هذا يعني أن إيلي فرّاجي ظهر في فسّوطة قبل يوم واحد من عثوره على النحاس في البُقيعة.

طُبعت شخصية إيلي فرّاجي في ذاكرة القرية المحلية كمنقذ وحامٍ لفسّوطة، فقد زعم إسحاق أنه في يوم تجميع الرجال في الحافلة، أتى فرّاجي إلى فسّوطة لرؤية سجعان الحلاق الذي كان مسؤولاً عن تسليم محصول التبغ في ذلك الوقت، وتذكّر إسحاق أن شخصاً آخر (ربما فرّاجي الأب) كان برفقة فرّاجي في ذلك اليوم.[١٠٤] وكثيرون في فسّوطة يعرفون الحكاية، وهم عندما يعيدون الحوار الذي دار بين فرّاجي والضابط فإنهم يؤدونه كمشهد تمثيلي:

> سليمان: "ماذا تفعل؟ هذه القرية قريتي!"؛
> إلياس: "فسّوطة قريتي أنا!"؛
> خليل: "هذه القرية هي قريتي"؛
> إسحاق: "هؤلاء الناس هم أهلي!"[١٠٥]

في الحقيقة، ربما يكون فرّاجي التقى الجنود والقرويين مصادفة، وبفضل صِلاته ضمِن الإفراج عن رجال فسّوطة. ووصف شمّاس كيف اقترب الضابط من فرّاجي الذي كان يقف بجوار سيارته (موريس زرقاء، طراز سنة ١٩٤٧)، وكيف أدت المعرفة السابقة بينهما إلى إطلاق الرجال من الحافلة، وإلى أن يتنفس أهل فسّوطة الصعداء (موقتاً).[١٠٦]

عندما توفي إيلي فرّاجي "كان العرب في جنازته أكثر من اليهود"، مثلما قالت شقيقته ريفكا دافيدس،[١٠٧] وقالت زوجته إيتا أيضاً إن أهالي فسّوطة تذكّروا زوجها لأنه في حرب ١٩٤٨ "أنقذهم من الترحيل [مشلواح]."[١٠٨] وعلى غرار أهالي فسّوطة المسنّين، فإن دافيد، ابن فرّاجي، أدى تمثيلاً حوار والده مع الضابط، والذي يقول له فيه: "أنا المسؤول عنهم، أنزلهم من الباصات!"[١٠٩] وقال إن والده الذي درس في بيروت، كان يتحدث العربية بطلاقة، وكان لديه بعض الاتصالات ـ التي لا يعلم هو عنها شيئاً ـ مع السلطات العسكرية، خلال الحرب وبعدها، والتي ربما تفسر كيف تمكّن فرّاجي الذي لم يكن سوى مفتش تبغ في قسم الجمارك والضرائب، من التدخل وتغيير مسار عملية عسكرية.[١١٠] ويصف شمّاس إيلي فرّاجي وهو ينظر إلى الحافلة، فيقول: "كان ركابها مألوفين بالنسبة إليه، فقد جلس معهم عدة مرات، وشرب القهوة في منازلهم"،[١١١] ولهذا، قد تكون المشاعر الإنسانية فقط هي التي وجّهت أفعاله في ذلك النهار. فضلاً عن ذلك، فإن المصالح التجارية، وهي نفسها التي أتت به إلى الجليل الأعلى بعد انتهاء القتال (علاوة على صلاته في المنطقة ومعرفته للغة العربية، الأمر الذي ربما كان مفيداً للجيش الإسرائيلي)، قد تكون وراء دفاعه عن أهالي فسّوطة. وربما لم يشأ فرّاجي أن يتم تدمير فسّوطة كي لا تتأثر مصالحه التجارية بصورة سلبية. ومع أن هذا لا يتعدى كونه افتراضاً فقط، إلاّ إن ما قاله جميل، ابن

ممثل دوبك في ترشيحا، لعرّاف، يدعم هذه الرواية، إذ ادّعى أن فرّاجي استخدم صلاته مع إدارة أملاك الغائبين لتأمين بيت فسيح ومفروش بشكل جيد كي يقيم والده فيه، وأنه (الوالد) وظّف أناساً لجمع التبغ كله الذي تركه أصحابه ورحلوا.[١١٢]

كان للتخلص من بعض سكان المنطقة فوائده بالتأكيد، غير أن تهجير الجميع كان سيضرّ بمصالح فرّاجي ودوبك. فمن دون أي معرفة بالمادية التاريخية، قالت ماري إن فرّاجي لم يدفع لهم القيمة الحقيقية لعملهم في زراعة التبغ، وأوضحت أنه اشترى التبغ بأسعار بخسة، بينما "كان عملنا مرهقاً."[١١٣] إذاً، ربما تكون تلك المصالح التجارية البسيطة هي التي أثّرت في مصير فسّوطة، لكن لا يمكن الجزم بذلك. وأياً تكن الحالة، فإن أهالي فسّوطة لا يزالون يتذكرون اسم "فرّاجي". وكتب شمّاس أنه عندما نزل الرجال من الحافلات، هزّ المسنّون رؤوسهم وغمغموا: "الله يضرب بيد ويحمي بالأخرى"، مضيفاً أنهم "لم يكونوا يعرفون أن كارثة ثانية ستحل."[١١٤]

"خلال ٢٤ ساعة سيمرّ الجيش من مركز القرية...": الميجر نمر وخلاص فسّوطة

في اليوم التالي (وفقاً لشمّاس)، أو بعد عدة أيام (وفقاً لبعض المسنين)، أمر الجيش الإسرائيلي رجال القرية بالتجمّع في حقل يُعرف باسم المحافر ـ حيث قابل مسنّو فسّوطة الجنود الإسرائيليين يوم احتلال القرية ـ في مكان يدعى كرم المشمشة يقع عند طرف القرية، وقال إسحاق الذي يتذكر تفصيلات أحداث تلك الأيام، إن الجنود أمروا رجال القرية بالوقوف صفاً واحداً، كما لو كانوا يحضّرونهم لعملية تفتيش. وتذكّر أنه كان مع الجنود رجل يرتدي كيساً على رأسه، ويسير متظاهراً بالعرج على طول الصف، وأنه كان يميل رأسه بطريقة غريبة كي يحدد للجنود الرجال الذين تعاونوا مع جيش الإنقاذ. وزعم إسحاق الذي لم يكن بين الرجال الذين جرى انتقاؤهم، أن الرجل الملثم كان من معليا. وتحدث شمّاس أيضاً عن رجل كان يغطي رأسه بكيس، وكتب أن شخصاً من فسّوطة اعتقد أن هذا الرجل لم يكن سوى محمود الإبراهيم من دير القاسي.[١١٥] وروى سمعان وإلياس وخليل وأديب القصة السابقة نفسها، لكنهم، بحسب ما يذكرون، كان هناك رجلان رافقا الجنود من أجل التعرف على المتعاونين مع جيش الإنقاذ، وقال سمعان إن أحد هذين الرجلين كان من معليا، وكان أعرج، وإن الثاني الذي كان ملثماً، كان أحد وجهاء فسّوطة. وعلى الرغم من مرور تلك الأعوام كلها، فإن أحداً لم يُفصح عن اسم الرجل الملثم.

إسحاق هو الوحيد الذي تذكّر كيف انتهى "يوم رأس الخيش" على حد تعبير شمّاس،[١١٦] فقد قال إنه في أثناء بحث ضباط استخبارات الجيش الإسرائيلي عن المتعاونين مع جيش الإنقاذ، دخل جنديان كانا على الأرجح يبحثان عن الأسلحة، منزل نمر مطر الواقع في مكان قصيّ من القرية، وإن صرخات النسوة اللاتي كن في المنزل في أثناء اقتحامه سُمعت بوضوح في كرم المشمشة، وأثارت الخوف والاضطراب لدى رجال القرية الذين لم يكن في وسعهم إلاّ تخمين أسبابها، لأنهم كانوا لا يزالون ملتزمين الأوامر بالوقوف في الحقل إلى حين انتهاء الجنود من عملية التفتيش. وأوضح إسحاق أنه لدى سماع صرخات النسوة بدأ الضابط المسؤول يخشى من أن تخرج هذه الحادثة التي وقعت ليلاً عن السيطرة، فأرسل الرجال إلى بيوتهم.

وقال إلياس إن الرجل الذي كان من معليا (الأعرج، أو المتظاهر بالعرج) أشار إلى شاب من بيت دَكْوَر، كان اسمه معروفاً للكثيرين، بمَن فيهم استخبارات الجيش الإسرائيلي،[١١٧] ويبدو أنه شارك (وجُرح) في هجوم فاشل على كيبوتس يحيعام في ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨، نفّذته قوات جيش الإنقاذ بأمر من أديب الشيشكلي.[١١٨] وقال أديب نخلة إن هذا الشاب عمل بعد الحرب تحت إمرة أويربخ، ضابط الاستخبارات المذكور آنفاً، وكانت مهمته عرقلة المتسللين.

في الأيام التي تلت الاستيلاء على فسّوطة، خلال النصف الأول من تشرين الثاني / نوفمبر، كان مصير القرية معلقاً بخيط، إذ جرى إجلاء سكان القرى المجاورة الواقعة قرب الشريط الحدودي مع لبنان بشكل منهجي.[١١٩] ووفقاً لشمّاس، فإنه في ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر، أمر الجيش الإسرائيلي أهالي فسّوطة بمغادرتها،[١٢٠] وذكر إلياس أن القرويين فهموا أن مغزى تلك الأوامر هو: "خلال ٢٤ ساعة سيمر الجيش من مركز القرية، وأي شخص موجود هناك سيكون في حكم الميت."[١٢١] ومع أن أوامر الطرد لم تكن مستبعَدة تماماً، إلاّ إنها صدمت القرويين. ووصف شمّاس عمّته جليلة وهي تقف في مدخل البيت بعد سماعها الأخبار، قائلاً: "كانت الفوطة تتدلى من يدها، ووقفت فاغرة فاها من الصدمة"،[١٢٢] كما تذكّرت ماري أن أحد معارف والدها من ترشيحا، وكان لاجئاً في فسّوطة، أتى إليها ذاهلاً دامع العينين، فسألته: "حنا، يا أبو زياد، ما الذي حدث؟" فأجاب: "لقد وصل الآن الأمر بمغادرة قريتكم ـ إلى أين سنرحل؟"[١٢٣] وقالت ماري إن زوجها أعدّ طعاماً للرحلة، وجمع أطفالهما، وانطلق نحو رميش في لبنان، كما تذكّر مهنّا أن والده حمّل قمحاً وفرشات على جمل وغادر القرية، وكذلك تذكّر سليمان أنه وزوجته حمّلا فرشات على حمار، وغادرا آخذَين ماشيتهما معهما، في حين قال أديب إن عائلته بالكامل وصلت إلى رميش في ذلك اليوم.[١٢٤] وبينما انطلق العديد من سكان فسّوطة نحو رميش والجنوب اللبناني، لجأ آخرون إلى التلال والوديان المحيطة بفسّوطة، بل إن بعضهم بقي في القرية.

كان إسحاق بين أولئك الذين فرّوا في اتجاه رميش، وقد ادّعى أن أحد الضباط في مقر الجيش الإسرائيلي في دير القاسي عرض إلغاء أمر الإجلاء في مقابل دفع مبلغ ضخم من المال، إذ إن خوري القرية، على ما يبدو، كان دفع له مبلغاً صغيراً، لكن هذا لم يكن كافياً.[١٢٥] ومن المستحيل طبعاً تأكيد هذا الادعاء أو نفيه، لكن سيناريو أن وجهاء فسّوطة حاولوا شراء حقّهم في البقاء في القرية، وأن ثمة ضابطاً في الجيش فاسداً ومستعداً لاستغلال الوضع، غير مستبعد على الإطلاق. ومع هذا فإن كثيرين من أهالي فسّوطة يعزون "خلاصهم" إلى الميجر نمر ـ غوئيل ليفيتزكي، قائد الكتيبة ٩١ ـ الذي يتذكرونه بصفته الرجل الذي احتل القرية. قال إسحاق إنه بحلول المساء وصل الميجر نمر إلى فسّوطة، وتوجّه مباشرة إلى بيت سعد الخوري، أحد وجهاء القرية، فدخله وألقى التحية على زوجة سعد التي بقيت صامتة. وزعم إسحاق أن نمر الذي لم يكن قد عرف بأمر الترحيل، صعد إلى الطبقة الثانية من المنزل كي يتحدث إلى سعد. وقال إلياس إن نمر رآهم يحزمون أغراضهم، فطلب من سعد أن يخبره بما حدث. وتذكّرت ماري ابنة سعد التي شهدت هذا كله أن والدها أراد، من شدة غضبه، تحطيم أثاث بيته كله، كي لا يتمكن اليهود من الاستفادة منه، وقالت إنهم كانوا قد فككوا جميع الخزائن الخشبية عندما وصل

نمر. وعند رؤيته الخزائن على تلك الحالة، أعلن الضابط اليهودي أن أمر الطرد ألغي، وتابع قائلاً لوالدها: "أبعد يديك ولا تفعل شيئاً، وأعد تركيب الخزائن."[١٢٦] وروت ماري كيف أمر والدها بعد ذلك مباشرة بإعداد الطعام للمنقذ غير المتوقع، لكن نمر ـ في ردة فعل معروفة تهدف إلى إظهار الحزم (والروح النبيلة) ـ رفض أن يأكل أو يشرب حتى إعادة الخزائن إلى ما كانت عليه. وقلّد إلياس الذي كان على دراية بالقصة، نمر وهو يتحدث إلى سعد، فقال: "لن أشرب القهوة ما لم تُعِد الأشياء إلى مكانها."[١٢٧]

وخلال تلك الزيارة، بدأت ماري بالبكاء، فجذبت انتباه نمر، وعندما أخبرته أن زوجها وأطفالها رحلوا إلى رميش، طلب منها أن ترسل أحداً ما كي يعيدهم. وهكذا بدأ هؤلاء المبعوثون يجوبون المنطقة المحيطة بفسّوطة في أثناء توجههم إلى رميش، وقال سليمان إنه وبينما كانوا يمشون في غابة خارج فسّوطة سمعوا فجأة أصواتاً تقول: "الأحوال على ما يرام الآن، لقد انتهى الأمر، اذهبوا إلى منازلكم."[١٢٨] وذكر أديب الذي كان في رميش حينها، أنهم "سمعوا رجلاً ينادي: اِرجعوا، اِرجعوا، اِرجعوا!"[١٢٩] وقال إسحاق إن أخاه لحق به إلى رميش، وإنهما عادا معاً تحت جنح الظلام، محاولَين تجنّب الجيش: "لن تصدق كيف كانت تلك الليلة." وعندما خرجا من الوادي وشرعا يسيران نحو القرية، على الطريق نفسه التي كان الجيش يقوم بدورية فيه، بدأ إسحاق يقهقه عالياً وهو يخبرنا: "كنت أضحك وكان الوادي يردد صدى ضحكي"، لكن شقيقه كان منزعجاً من لامبالاته، وشعر بالغضب الشديد، إلاّ إن إسحاق لم يتوقف عن الضحك: "كأن ذلك كان من عند الله، فقد انتابني فرح غريب." وأخبرنا أن ضحكاته كانت مجنونة، كأنه فقد عقله فعلاً، وأنهما عند مطلع الفجر وصلا إلى منزلهما الواقع قرب كنيسة القرية، وقال: "تلك هي أحداث الاحتلال التي وقعت هنا."[١٣٠]

خاتمة

إن الزمن ليس في مصلحة الشهادات الشفوية، ففي الواقع، وفي غضون بضعة أعوام، لن يعود في الإمكان جمع التاريخ الشفوي الخاص بحرب ١٩٤٨. لقد أظهرت هذه الدراسة أنه لا يزال هناك كثير ممّا يمكن للإسرائيليين عمله من جانبهم، فمبادرات التاريخ الشفوي الفلسطيني لم تتبلور بعد، وذلك على النقيض من الأردن ولبنان والضفة الغربية.[١٣١] وعلى الرغم من قلة الفائدة التي يقدمها التاريخ الشفوي في فهم المعتقدات والآراء التي كانت سائدة في الماضي، لأنها تخضع باستمرار لإعادة إنتاج عبر عملية التذكّر نفسها، فإن هذا التاريخ يساعد في شرح الأحداث التي تركت أثراً بسيطاً، هذا إن تركت، ضمن الأرشيف الرسمي. ولذلك، ركّزت هذه النظرة التاريخية عن كثب على ثلاثة أحداث أليمة لا يزال الناس في فسّوطة يتذكرونها إلى يومنا هذا (المحاولتان اللتان قام بهما الجيش للقبض على الرجال الذين تعاونوا مع جيش الإنقاذ، وقرار الترحيل الذي أُلغي في يوم صدوره)، فتلك الأحداث التي بالكاد دُوّنت في الأرشيف الرسمي أثّرت بشكل واضح في حياة المقيمين في فسّوطة. وطبعاً، إذا كُتبت أحداث حرب ١٩٤٨ في فسّوطة، استناداً إلى المواد الموجودة في أرشيف الجيش الإسرائيلي، فإن النتيجة ستكون مختلفة كلياً.

أمّا الأحداث الأليمة الأُخرى ـ احتلال القرية في ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ـ

فمذكورة في أرشيف الجيش الإسرائيلي، وتتطابق إلى حد بعيد مع ذكريات أهالي فسّوطة، وهذه المواد الأرشيفية تسهّل استعادة سير عملية حيرام، وذلك من خلال الوصف الدقيق لعمليات القصف الجوي والتقارير التي قدمتها الكتيبة ١١ التي قبلت استسلام فسّوطة. بعبارة أُخرى، يمكن للأرشيف إعطاء نظرة عامة إلى الأحداث، وفي الوقت نفسه، نظرة تتميز بـ "الوضوح" وبدراسة أدق التفصيلات، كما أنه يمكن أن يكون وسيلة لتمييز الذكريات الخطأ والمشوَّهة، الأمر الذي يبيّن أهمية كتابة تاريخ يعطي الشهادات الشفوية ثقلاً كبيراً. وبالمثل، فإنه يمكن استخدام الشهادات الشفوية لتدقيق الشهادات المكتوبة، فعلى سبيل المثال زعم مسنّو فسّوطة أن أحداً لم يطلق النار من القرية على الجنود، وهذه الذكريات تطعن في تقرير استخباراتي كُتب بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء الحملة يدّعي أن قريتَي دير القاسي وفسّوطة "استسلمتا بعد معركة قصيرة" لوحدة الجيب (jeep unit) التابعة للجيش،[١٣٢] ولا سيما أن هناك مواد أرشيفية أُخرى تقوّض الادعاء أن الموقع شهد "معركة قصيرة".[١٣٣]

ما يفتقده الأرشيف إلى حد بعيد هو الرواية الفلسطينية للأحداث، ولهذا فإن التاريخ الشفوي يتيح إمكان الاستماع إلى أشخاص من أهالي فسّوطة، وبينهم رجل كان في العاشرة من عمره في سنة ١٩٤٨ (أديب نعيم نخلة)، وامرأة كانت في الثلاثين (ماري سعد الخوري). لقد بثّت ذكرياتهم الحياة في الصورة التي رسمتها الوثائق الرسمية عن تلك الحقبة، وقصصهم هي اللحم والجلد فوق عظام الوقائع الجافة المستخرَجة من الأرشيف.[١٣٤] ومن دون شك، يمكن للشهادات الشفوية أن تُستخدم في تأكيد المصادر المكتوبة (على سبيل المثال، تذكرت ماري كيف تم تجميع البنادق يوم احتلال القرية، تماماً مثلما هو مذكور في الأرشيف)، ويمكنها أن تقدم معلومات لا يذكرها الأرشيف، وربما تجاهلها (أمر طرد أهالي فسّوطة مثال جيد). ولا تقلّ أهمية عن ذلك الناحية الإنسانية في التاريخ الشفوي، وقدرته على رواية التاريخ كقصة ذات أبعاد إنسانية،[١٣٥] فضلاً عن الحيوية التي يضيفها إلى الوقائع الجافة (كشهادة ماري بشأن اللحظة التي أعلن فيها قائد الكتيبة ٩١، في منزل والدها، إلغاء أمر الطرد).

إن وضع ذكريات مسنّي فسّوطة إلى جانب وثائق الأرشيف ـ وفي هذه العملية كل مصدر يعزّز الآخر أو يناقضه أو يكمله ـ قادني إلى التشكيك في الرواية المحلية للأحداث التي تفسر لماذا لم تدمَّر فسّوطة ويهجَّر أهلها. فوفقاً لما تداوله أهالي فسّوطة تقليدياً، فإن سكان القرية لم يُطرَدوا، والقرية لم تدمَّر لأنهم لم يحاربوا اليهود (مصير إقرت ومعليا يُضعف هذه الحجة)، ولم يساعدوا جيش الإنقاذ (مشاركة أحد رجال فسّوطة المذكور سابقاً في الهجوم على مستوطنة يحيعام كان استثناء)، ولأن وجهاءهم اختاروا الاستسلام وعدم الهروب. هذه الأسباب (وغيرها) ربما تكون ملائمة لمصير القرية في النصف الأول من تشرين الثاني/نوفمبر. علاوة على ذلك، فإن الرواية المحلية للأحداث تؤكد أهمية الدور الذي أداه إيلي فرّاجي تاجر التبغ، وغوئيل ليفيتزكي الضابط اليهودي الذي استولى على فسّوطة، في حماية القرية. فقد أظهرت الدراسة أن المساعدة التي قدمها فرّاجي الذي لا بد من أنه كان له بعض التأثير في مصير القرية، ربما لم تكن بدافع محبته للآخرين، نظراً إلى أعماله التجارية المربحة في منطقة الجليل الأعلى، والتي تعرضت للخطر بسبب

عدم الاستقرار، كما أنه بالنسبة إلى غوئيل ليفيتزكي، فإن روحه النبيلة ربما لم تكن وراء إلغائه أمر الطرد، وإنما السبب على الأرجح هو الأمر الذي صدر في منتصف تشرين الثاني / نوفمبر، والقاضي بتجميد عملية إجلاء السكان (العرب) من قرى الشريط الحدودي. فأمر الطرد الصادر في صباح ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر يتوافق مع أمر قائد الجبهة الشمالية الصادر في ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر، وإلغاؤه مرتبط بقرار تجميد عمليات الطرد كافة. ونظراً إلى أنه لا يمكن وضع قواعد صارمة وسريعة في شأن هاتين المسألتين، فإنه يمكنني فقط تقديم سياق ما، واستبدال علامة التعجب بعلامة استفهام، فضلاً عن أنه لا يمكن البت بشكل قاطع بالأسباب التي أدت إلى عدم تهجير سكان فسّوطة منها. علاوة على الأسباب المذكورة أعلاه، فإن بُعد فسّوطة النسبي عن الحدود (مع أنها واقعة ضمن الشريط على طول الحدود مع لبنان الذي أمر قائد الجبهة الشمالية جنود الجيش الإسرائيلي بإنشائه، إلاّ إنها بعيدة نسبياً عن الحدود) ربما يكون عمل لمصلحتها. كما أن الأشخاص المؤيدين للمسيحيين (كوزير شؤون الأقليات شِطريت)، وأفراد الاستخبارات اليهودية (مثل أويربخ المذكور آنفاً)، ربما يكونون قد شاركوا في اتخاذ القرار بشأن مصير القرية. وبينما ستزول في نهاية المطاف المصادر المباشرة التي يُجمع منها التاريخ الشفوي لحرب ١٩٤٨، فإن هناك دائماً إمكاناً في أن يكشف الأرشيف في المستقبل تفسيرات أُخرى أدق وأكثر تفصيلاً. ■

المصادر

١ **George Ewart Evans, *Where Beards Wag All: The Relevance of Oral Tradition* (London: Faber and Faber, 1970), pp. 18–19; Alessandro Portelli, "What Makes Oral History Different", in *The Oral History Reader*, edited by Robert Perks and Alistair Thomson (London: Routledge, 2003), p. 33; Paul Thompson, *The Voice of the Past: Oral History* (Oxford: Oxford University Press, 1978), pp. 7-8; Ted Swedenburg, "Popular Memory and the Palestinian National Past", in *Golden Ages, Dark Ages: Imagining the Past in Anthropology and History*, edited by Jay O'Brien and William Roseberry (Berkeley: University of California Press, 1991), pp. 177–178.**

٢ **انظر، على سبيل المثال:**

Louis Starr, "Oral History", in *Oral History: An Interdisciplinary Anthology*, edited by David K. Dunaway and Willa K. Baum (Nashville: American Association for State, 1984), pp. 4-5.

٣ Portelli, op.cit., p. 40; Alice Kessler Harris, "Introduction", in *Envelopes of Sound: The Art of Oral History*, edited by Ronald J. Grele, Studs Terkel, Jan Vansina, Dennis Tedlock, Saul Benison and Alice Kessler Harris (New York: Praeger, 2nd edition, 1991), p. 1.

٤ علاوة على كتاب بني موريس المفصّل، والذي سنشير إليه كثيراً في هذه الدراسة، انظر:
Ilan Pappe, *The Ethnic Cleansing of Palestine* (Oxford: Oneworld, 2006).
ومن أجل الاطلاع على عرض بابِهْ لعملية حيرام التي تشكّل سياق النظرة التاريخية عن كثب المقترَحة في هذه الدراسة، انظر: المصدر نفسه، ص ١٨٠ – ١٨٧.

٥ انظر كتاب:
Walid Khalidi, ed., *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948* (Washington, D.C: Institute for Palestine Studies, 1992).
وهذا الكتاب يتضمن مقطعاً بعنوان "الاحتلال والتهجير" (Occupation and Depopulation)، عن كل قرية وبلدة مذكورة فيه.

٦ يدّعي موريس، وهذا غير صحيح، أن سكان فسّوطة كان نصفهم مسيحيين ونصفهم الآخر مسلمين، انظر:
Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), p. 255.
وهو خطأ كرره في:
Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), pp. 475, 534.
والحقيقة أن آخر المسلمين في فسّوطة اضطروا إلى مغادرتها في نهاية القرن التاسع عشر تقريباً، ومنذ ذلك الحين أصبح جميع أهالي فسّوطة مسيحيين.
وللمزيد انظر: شكري عرّاف ورفيق نجّار، "فسّوطة: التاريخ والإنسان" (فسّوطة: المجلس المحلي، ١٩٩٣)، ص ١٨ – ١٩.

٧ Rashid Khalidi, *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness* (New York: Columbia University Press, 1997), p. 89.

٨ Walter J. Ong, *Orality and Literacy: The Technologizing of the World* (London: Routledge, 1988), p. 32.

٩ Jan Vansina, *Oral Tradition: A Study in Historical Methodology*, translated by H.M. Wright (London: Routledge and Kegan Paul, 1965), p. 4; Thompson, op.cit. p. 103.

١٠ من أجل الاطلاع على مناقشة عن التاريخ الشفوي كوسيلة لفهم معنى الماضي، انظر:
Alistair Thomson, "Four Paradigm Transformations in Oral History", *Oral History Review*, vol. 34, no. 1 (2006), pp. 53–57.

١١ حثّ بول تومبسون، أحد روّاد التاريخ الشفوي، المؤرخين الشفويين على "البحث عن مصادر أُخرى من أجل التأكد." انظر: Thompson, op.cit., p. 92.

١٢ لمعرفة حدود هذا "الجيب"، انظر:
Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee…*, op.cit., p. 218.
١٣ Ibid., pp. 217-218.
١٤ يقول يوآف غيلبير في كتابه "الاستقلال في مقابل النكبة" إن جنود جيش الإنقاذ، في معظمهم، انسحبوا إلى لبنان، حتى إنهم أخذوا أغلبية أسلحتهم معهم. انظر:
Yoav Gelber, *Independence versus Nakba* (Or Yehudah: Davir, 2004), p. 329.
١٥ Benny Morris, *1948: A History of the First Arab-Israeli War* (New Haven: Yale University Press, 2008), pp. 338–339; Gelber, op.cit., pp. 325-328.
وانظر أيضاً: أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٤٤١//٦٠٠١٣٧/١٩٥١، ٢٨ شباط / فبراير ١٩٤٩.
١٦ أرشيف الجيش الإسرائيلي، ٤٤١//٦٠٠١٣٧/١٩٥١، ٢٨ شباط / فبراير ١٩٤٩.
١٧ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit. p. 473.
١٨ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١٦//٧١٥/١٩٤٩، ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨.
١٩ المصدر نفسه، ١٥//٧١٥/١٩٤٩، ٢١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨. وأُلقي ١٠,٠٠٠ منشور فوق لبنان، تحذّر الشعب والجيش والحكومة من مغبّة التدخل، وإلاّ فإن السلاح الإسرائيلي سيوجّه نحوهم.
٢٠ قال صبحي علي الصادق (مواليد ١٩٢٩)، وهو لاجئ من دير القاسي، في مقابلة شفوية، إن امرأة ورجلاً مسنَّين بقيا في القرية، ثم أُخذا إلى حُرْفيش، لكنهما في نهاية المطاف توفيا في عكا.
للمزيد انظر موقع "فلسطين في الذاكرة" في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.palestineremembered.com/Acre/Dayr-al-Qasi/index.html#OralHistory
ولمعلومات عامة عن دير القاسي، انظر: Khalidi, *All That Remains…*, op. cit., pp. 12–13.
٢١ من أجل توصيف دقيق لمراحل عملية حيرام، انظر:
Sagi Levi, "The Population of the Galilee in the 'Hiram' Campaign of October 1948", M.A. Thesis (Haifa: University of Haifa 2004), pp. 12–46.
٢٢ Morris, *1948…*, op.cit., p. 343.
٢٣ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٣//٧١٥/١٩٤٩، ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨.
٢٤ Gelber, op.cit., p. 328.
٢٥ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٣//٧١٥/١٩٤٩، ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.
٢٦ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., p. 474; Idem., *1948…*, op.cit., p. 341; Nafez Nazzal, *The Palestinian Exodus from Galilee, 1948* (Beirut: The Institute for Palestine Studies, 1978), pp. 93–96.
٢٧ Morris, *1948…*, op.cit., p. 343.
٢٨ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١٩١//٩٢٢/١٩٧٥ (د.ت.).
٢٩ Gelber, op.cit., p. 329; Morris, *1948…*, op.cit., p. 348.
٣٠ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١٦//٧١٥/١٩٤٩، ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨؛ Nazzal, op.cit., pp. 96–97.
٣١ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٣//٧١٥/١٩٤٩، ٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.
٣٢ المصدر نفسه.

٣٣ المصدر نفسه.
٣٤ المصدر نفسه، ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨.
٣٥ المصدر نفسه.
٣٦ المصدر نفسه، ٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.
٣٧ المصدر نفسه، ١١٤//٢٦٣/١٩٦٦، ٩ شباط / فبراير ١٩٤٩.
٣٨ مقابلة مع ماري سعد الخوري، فسّوطة، ٢٩ آب / أغسطس ٢٠١١ (جرى تغيير أسماء جميع الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ضماناً لإخفاء الهوية). ولمزيد من التفصيلات بشأن مشاركة أهالي فسّوطة في الثورة العربية بين سنتَي ١٩٣٦ و١٩٣٩، انظر: شكري عرّاف ورفيق نجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح' ـ التاريخ والإنسان" (فسّوطة: المجلس المحلي، ٢٠١٢)، ص ٤١ – ٤٢، ٥٠.
٣٩ مقابلة مع إسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس، فسّوطة، ٢٦ آب / أغسطس ٢٠١١.
٤٠ مقابلة مع سمعان فارس دَكْوَر، فسّوطة، ٢٦ آب / أغسطس ٢٠١١.
٤١ Elias Shoufani, "The Fall of a Village", *Journal of Palestine Studies*, vol. 1, no. 4 (Summer 1972), p. 112.
وكان شوفاني في الرابعة عشرة من عمره عندما اندلعت حرب ١٩٤٨.
٤٢ مقابلة مع سليمان رضا عاصي، فسّوطة، ٢٩ آب / أغسطس ٢٠١١. ولمزيد من التفصيلات، راجع رواية أنطون شمّاس "أرابيسك":
Anton Shammas, *Arabeskot* (Tel Aviv: Am Oved and Michaelmark Books, 1986), p. 104.
ولد شمّاس في فسّوطة، وقام باستخدام شعري للحكايات التي سمعها من كبار السن في محيطه، والتي ضمّنها روايته الآنفة الذكر التي تُرجمت إلى الإنجليزية. انظر:
Anton Shammas, *Arabesques*, translated by Vivian Eden (London: Viking, 1988).
٤٣ مقابلة مع إلياس نمر قسيس، فسّوطة، ٢٩ آب / أغسطس ٢٠١١. وكان سعد الخوري (الاسم مستعار) أحد وجهاء فسّوطة الميسورين.
٤٤ مقابلة هاتفية مع أديب نعيم نخلة، ١٧ تموز / يوليو ٢٠١٢.
٤٥ Shoufani, op.cit., pp. 110–112.
وتذكّر سليمان رضا عاصي، أيضاً، أن جنود جيش الإنقاذ في فسّوطة كانوا من أصل يمني.
٤٦ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٤٩٥//٤٨٥٨/١٩٤٩، ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.
٤٧ Shoufani, op.cit., pp. 109–112.
٤٨ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١٢٩//٢٤٤/١٩٥١، ٢٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨. ويلحظ التقرير أن "أفراد جيش الإنقاذ هم من اليمن والحجاز، وأنهم، في معظمهم، كانوا عمالاً في يافا جرى تجنيدهم في هذا الجيش."
٤٩ مقابلة مع ماري سعد الخوري.
٥٠ مقابلة مع خليل عزيز النجّار، فسّوطة، ٢٩ آب / أغسطس ٢٠١١. وللاطلاع على ما حدث لجيش الإنقاذ في الجنوب اللبناني، انظر:
Gelber, op.cit., pp. 329–330.

٥١ مقابلة مع خليل عزيز النجّار.

٥٢ راجع: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: التاريخ والإنسان"، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥؛ عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠، ٥٦ – ٥٧.

٥٣ عرّاف ونجّار، "فسّوطة: التاريخ والإنسان"، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥. وكتب شوفاني أن والدته التجأت إلى بيت أقاربها في فسّوطة في أواخر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨. انظر:
Shoufani, op.cit., p. 110.

٥٤ في أواخر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨، أخبر ضابط استخبارات لواء عوديد أن جميع سكان فسّوطة كانوا محليين باستثناء أربع نساء عجائز قدِمن من المنصورة. انظر: أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٧٥//١٠١٢/١٩٤٩، ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨. ولمزيد من المعلومات بشأن العائلات التي هاجرت إلى فسّوطة في سنة ١٩٤٨، انظر: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

٥٥ عرّاف ونجّار، "فسّوطة: التاريخ والإنسان"، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ – ١٠٦؛ عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠ – ٥٥.

٥٦ مقابلة مع سمعان فارس دَكّور.

٥٧ مقابلة مع إسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس، ومع خليل عزيز النجّار.

٥٨ يمكن أيضاً تفسير الاتهامات التي وُجهت إلى الإبراهيم في ضوء العلاقة المعقدة ما بين القرية المسيحية وجارتها المسلمة، أو في سياق "وطنية" الإبراهيم في مقابل "خيانة" فسّوطة.

٥٩ انظر، على سبيل المثال:
Shammas, *Arabeskot*, op.cit., pp. 114, 116, 171, 178.

٦٠ Shoufani, op.cit., p. 113.

٦١ عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨ – ٤٩.

٦٢ راجع:
Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 108.

٦٣ مقابلة مع إلياس نمر قسيس.

٦٤ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., pp. 109–110.

٦٥ مقابلة مع إسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس.

٦٦ المصدر نفسه.

٦٧ بشأن موضوع تسليم السلاح، انظر: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧؛ وانظر:
Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 110.

٦٨ خلال عملية حيرام، أوعزت الجبهة الشمالية إلى وحداتها بإصدار أوامر بعدم النهب. ولمزيد من التفصيلات، انظر: Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., p. 474.
وربط شمّاس عمليات النهب بأحداث أُخرى في الحرب سيتم التطرق إليها لاحقاً. انظر:
Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 109.

٦٩ راجع: Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 109.

٧٠ التقرير الذي يصف تحركات وأفعال وحدة الجيب (jeep unit) في الكتيبة ١١، بتاريخ ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٨، موقَّع من طرف قائد الكتيبة، أ. فريدمان، الذي استولى جنوده على فسّوطة. انظر أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٣//٧١٥/١٩٤٩، ٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.

٧١ مقابلة مع إسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس.

٧٢ انظر: Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 109.

وكذلك مقابلة مع إلياس نمر قسيس وماري سعد الخوري. وكان غوئيل ليفيتزكي (١٩١٧ – ٢٠٠٩) أحد مؤسسي كيبوتس ألونيم حيث عُيّن "مختاراً"، وقد استغل إتقانه اللغة العربية في عمله في جهاز شاي (جهاز استخبارات الهاغاناه).

٧٣ Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee…*, op.cit., pp. 218–219, 236.

٧٤ Benny Morris, *Jews and Arabs in Palestine/Israel, 1936–1956* (Tel Aviv: Am Oved, 2000), p. 143; Idem., *Birth… Revisited*, op.cit., p. 474.

٧٥ Morris, *Jews and Arabs...*, op. cit.; Idem., *Birth... Revisited*, op. cit., pp. 474, 536; Idem., *1948…*, op.cit., p. 346.

وللاطلاع على أمر ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر، انظر: أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٤٩٥//٤٨٥٨/١٩٤٩، ١٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.

٧٦ Morris, *Jews and Arabs…*, op.cit., p. 146.

٧٧ Ibid., p. 144; Morris, *1948…*, op.cit., pp. 345-346.

٧٨ Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee…*, op.cit., p. 225.

٧٩ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., p. 474.

٨٠ Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee…*, op.cit., p. 228.

٨١ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., p. 506.

٨٢ Ibid., pp. 508, 534, 535.

٨٣ Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee…*, op.cit., p. 237.

٨٤ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., p. 505.

٨٥ Ibid., pp. 534-535.

٨٦ Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee…*, op.cit., p. 239.

٨٧ Ibid.

حزب مبام في الأساس هو حزب سياسي ماركسي ـ صهيوني تشكّل في كانون الثاني / يناير ١٩٤٨، وأصبح في انتخابات الكنيست الأولى، ثاني أكبر الأحزاب السياسية بعد حزب مباي.

٨٨ Ibid., pp. 238-239; Morris, *1948…*, op.cit., p. 347; Idem., *Birth… Revisited*, op.cit., pp. 506-507.

ربما يكون دور شِطريت فيما يتعلق بفسّوطة، متضمناً في رسالة أُرسلت من فسّوطة إلى وزير شؤون الأقليات والحاكم العسكري في ترشيحا. انظر: أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١١٤//٢٦٣/١٩٦٦، ٩ شباط / فبراير ١٩٤٩.

٨٩ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., p. 506.

٩٠ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١٦//٧١٥/١٩٤٩، ٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.

٩١ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., pp. 506-507.

٩٢ Ibid., pp. 507-508.

ولاطلاع موجز على المذابح، انظر:

Morris, *Jews and Arabs*…, op.cit., pp. 145-148; Idem., *1948*…, op.cit., p. 345.

٩٣ Morris , *1948*…, op.cit., p. 347.

٩٤ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٧١//١٠١٢/١٩٤٩، ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.

٩٥ المصدر نفسه، تل أبيب، ٧٥//١٠١٢/١٩٤٩، ٣ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨؛ ١١٤//٢٦٣/١٩٦٦، ٩ شباط / فبراير ١٩٤٩؛ ٧١//١٠١٢/١٩٤٩، ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨. وللاطلاع على موضوع التسلل العربي وأسبابه، انظر:

Benny Morris, *Israel's Border Wars, 1949–1956*, translated by Yaacov Sharet (Tel Aviv: Am Oved, 1996), pp. 44-61.

٩٦ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., pp. 509-511.

وفي أواخر سنة ١٩٤٩، نوقشت خطة أُخرى من أجل ترحيل الناس من فسّوطة وقرى أُخرى، انظر:

Hillel Cohen, *The Present Absentees: The Palestinian Refugees in Israel since 1948* (Jerusalem: The Institute for Israeli - Arab Studies, 2000), p. 61.

٩٧ كان أسعد سليم خوري مختار القرية حتى سنة ١٩٤٥، انظر: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: التاريخ والإنسان"، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧ – ١٠٨.

٩٨ مقابلة مع إسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس.

٩٩ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 110.

١٠٠ Ibid., pp. 110-111.

١٠١ Shoufani, op.cit., p. 114.

وللاطلاع على مسألة قطف التبغ خلف خطوط العدو في صيف سنة ١٩٤٨، انظر:

Ibid., p. 117.

١٠٢ شكري عرّاف، "لمسات وفاء… و…" (الجليل، معليا: مركز الدراسات القروية، ٢٠٠٧)، ص ١٤٤.

١٠٣ المصدر نفسه، ص ١٤٣ – ١٤٥.

١٠٤ لتأييد هذا السيناريو، انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٣. وقد أورد عرّاف ونجار شهادة سهيلة حنا خوري التي قالت إن رجلاً يُدعى نتانئيل بولز أخبرها أنه كان الشخص الذي رافق فرّاجي في رحلته إلى فسّوطة في ذلك اليوم. وقالت إن بولز شاهد الجنود وهم يأمرون الرجال بالصعود إلى شاحنة كبيرة، مضيفة أنه تذكّر أن فرّاجي قرر حماية أهالي فسّوطة لأن والده، الذي عرف أهالي القرية وكان متعاطفاً معهم، أمره بذلك. انظر: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'…"، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

١٠٥ مقابلات مع سليمان رضا عاصي، وإلياس نمر قسيس، وخليل عزيز النجّار، وإسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس.

١٠٦ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., pp. 111-112.

ولمّح شمّاس إلى أن إيلي فرّاجي كان أكبر كثيراً من الضابط الشاب، لكن هذا في الواقع مستحيل لأن فرّاجي هو من مواليد سنة ١٩٢٠.

١٠٧ مقابلة هاتفية مع ريفكا دافيدس (بالعبرية)، في ١٢ تموز / يوليو ٢٠١٢.
١٠٨ مقابلة هاتفية مع إيتا فرّاجي (بالعبرية)، في ١٢ تموز / يوليو ٢٠١٢.
١٠٩ مقابلة هاتفية مع دافيد فرّاجي (بالعبرية)، في ١٢ تموز / يوليو ٢٠١٢.
١١٠ هكذا وقّع المذكرة التي أعطاها إلى يوسف النحاس. انظر: عرّاف، "لمسات وفاء..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤.
١١١ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., pp. 111-112.
١١٢ عرّاف، "لمسات وفاء..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.
١١٣ مقابلة مع ماري سعد الخوري.
١١٤ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 112.
١١٥ Ibid., pp. 112-114.
١١٦ Ibid., p. 114.
١١٧ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ٧٥//١٠١٢/١٩٤٩، ٤ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨.
١١٨ تذكّر إسحاق أنه رأى الشيشكلي والوفد المرافق له خلال زيارتهم لفسّوطة.
١١٩ Morris, *Birth… Revisited*, op.cit., pp. 506-507.
١٢٠ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 114.
وانظر أيضاً: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.
١٢١ مقابلة مع إلياس نمر قسيس.
١٢٢ Shammas, *Arabeskot*, op.cit., p. 114.
١٢٣ مقابلة مع ماري سعد الخوري.
١٢٤ لمزيد من التفصيلات، انظر: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.
١٢٥ ذكر شمّاس أن الأموال التي دُفعت إلى الضابط كانت وراء إلغاء الأمر؛ انظر:
Shammas, *Arabeskot*, op.cit., pp. 115-116.
ومن أجل روايات أُخرى، انظر: عرّاف ونجّار، "فسّوطة: 'نجمة الصبح'..."، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.
١٢٦ مقابلة مع ماري سعد الخوري.
١٢٧ مقابلة مع إلياس نمر قسيس.
١٢٨ مقابلة مع سليمان رضا عاصي.
١٢٩ مقابلة هاتفية مع أديب نعيم نخلة.
١٣٠ مقابلة مع إسحاق جريس شاهين ومهنّا حبيب فرنسيس.
١٣١ هناك استثناء واضح، وهو مشروع محلي للتاريخ الشفوي قام به الأرشيف التاريخي لصالة العرض في أم الفحم. انظر:
Mustafa Kabha and Guy Raz, eds., *Memories of a Place: The Photographic History of Wadi 'Ara, 1903–2008* (Umm al-Fahm: Umm al-Fahm Art Gallery, 2008), p. 278.
وللاطلاع على قائمة بأهم المبادرات فيما يتعلق بالتاريخ الشفوي الفلسطيني، انظر:
Ahmad H. Sa'di and Lila Abu-Lughod, "Introduction: The Claims of Memory", in *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*, edited by Ahmad H. Sa'di and Lila Abu-Lughod (New York: Columbia University Press, 2007), p. 17.

١٣٢ أرشيف الجيش الإسرائيلي، تل أبيب، ١٥//٧١٥/١٩٤٩، ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٨.
١٣٣ المصدر نفسه، تل أبيب، ١٥//٧١٥/١٩٤٩، ٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٨.
١٣٤ Thompson, op.cit., pp. 77-78, 136-137.
١٣٥ Evans, op.cit., p. 20.

المراجع

بالعربية

- عرّاف، شكري. "لمسات وفاء... و...". الجليل، معليا: مركز الدراسات القروية، ٢٠٠٧.
- عرّاف، شكري ورفيق نجّار. "فسّوطة: التاريخ والإنسان". فسّوطة: المجلس المحلي، ١٩٩٣.
- عرّاف، شكري ورفيق نجّار. "فسّوطة: 'نجمة الصبح' - التاريخ والإنسان". فسّوطة: المجلس المحلي، ٢٠١٢.

بالإنجليزية

- Evans, George Ewart. *Where Beards Wag All: The Relevance of Oral Tradition*. London: Faber and Faber, 1970.
- Kabha, Mustafa and Guy Raz, eds. *Memories of a Place: The Photographic History of Wadi 'Ara, 1903–2008*. Umm al-Fahm: Umm al-Fahm Art Gallery, 2008.
- Kessler Harris, Alice. "Introduction". In *Envelopes of Sound: The Art of Oral History*. Edited by Ronald J. Grele, Studs Terkel, Jan Vansina, Dennis Tedlock, Saul Benison and Alice Kessler Harris. New York: Praeger, 2nd edition, 1991.
- Khalidi, Rashid. *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness*. New York: Columbia University Press, 1997.
- Khalidi, Walid, ed. *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948*. Washington, D.C.: Institute for Palestine Studies, 1992.
- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947–1949*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- _____. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

- **———. *1948: A History of the First Arab-Israeli War*. New Haven: Yale University Press, 2008.**
- **Nazzal, Nafez. *The Palestinian Exodus from Galilee, 1948*. Beirut: The Institute for Palestine Studies, 1978.**
- **Ong, Walter. *Orality and Literacy: The Technologizing of the World*. London: Routledge, 1988.**
- **Pappe, Ilan. *The Ethnic Cleansing of Palestine*. Oxford: Oneworld, 2006.**
- **Portelli, Alessandro. "What Makes Oral History Different?" In *The Oral History Reader*. Edited by Robert Perks and Alistair Thomson. London: Routledge, 2nd edition, 2006.**
- **Sa'di, Ahmad H. and Lila Abu-Lughod. "Introduction: The Claims of Memory". In *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*. Edited by Ahmad H. Sa'di and Lila Abu-Lughod. New York: Columbia University Press, 2007.**
- **Shammas, Anton. *Arabesques.* Translated by Vivian Eden. London: Viking, 1988.**
- **Shoufani, Elias. "The Fall of a Village". *Journal of Palestine Studies*, vol. I, no. 4 (1972), pp. 108-121.**
- **Starr, Louis. "Oral History". In *Oral History: An Interdisciplinary Anthology*. Edited by David K. Dunaway and Willa K. Baum. Nashville: American Association for State and Local History, 1984.**
- **Swedenburg, Ted. "Popular Memory and the Palestinian National Past". In *Golden Ages, Dark Ages: Imagining the Past in Anthropology and History*. Edited by Jay O'Brien and William Roseberry. Berkeley: University of California Press, 1991.**
- **Thompson, Paul. *The Voice of the Past: Oral History*. Oxford: Oxford University Press, 1978.**
- **Thomson, Alistair. "Four Paradigm Transformations in Oral History". *Oral History Review*, vol. 34, no. 1 (2006), pp. 49-70.**
- **Vansina, Jan. *Oral Tradition: A Study in Historical Methodology*. Translated by H.M. Wright. London: Routledge and Kegan Paul, 1965.**

بالعبرية

- **Cohen, Hillel. *The Present Absentees: The Palestinian Refugees in Israel since 1948*. Jerusalem: The Institute for Israeli - Arab Studies, 2000.**
- **Gelber, Yoav. *Independence versus Nakba*. Or Yehuda: Dvir, 2004.**

- **Levi, Sagi. "The population of the Galilee in the 'Hiram' Campaign of October 1948". M.A. Thesis. Haifa: University of Haifa, 2004.**
- **Morris, Benny. *Israel's Border Wars, 1949-1956*. Translated by Yaacov Sharet. Tel Aviv: Am Oved, 1996.**
- **————· *Jews and Arabs in Palestine/Israel, 1936-1956*. Tel Aviv: Am Oved, 2000.**
- **Shammas, Anton. *Arabesques*. Tel Aviv: Am Oved and Michaelmark Books, 1986.**

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بلادنا فلسطين
(الجزء الأول)
جغرافية فلسطين وتاريخها:
نظرة عامة

مصطفى مراد الدباغ

تقديم: وليد الخالدي

٧٨١ صفحة ٢٥ دولاراً